جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

بيان اختلاف المفردات في القراءات المتواترة وأثر ذلك في المبنى والمعنى (أنموذجات مختارة من سورة آل عمران)

Explaining The Difference in Authentic Qiraa'aat and its effect on (structure and Meaning (Selected Examples from Surat Al Omran

إعداد

د. طالب بن عيسى بن سعيد الكيومي

كلية العلوم الشرعية – مسقط – سلطنة عُمان

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

بيان اختلاف المفردات في القراءات المتواترة وأثر ذلك في المبنى والمعنى (أنموذجات مختارة من سورة آل عمران)

طالب بن عيسى بن سعيد الكيومي

كلية العلوم الشرعية ، مسقط ، سلطنة عُمان

البريد الإلكتروني : *talkaiomi@css.edu.om*

الملخص

تناول هذا البحث موضوع (بيان اختلاف المفردات في القراءات المتواترة وأثر ذلك في المبنى والمعنى "أنموذجات مختارة من سورة آل عمران") حيث قام الباحث، بأخذ أنموذجات من القراءات القرآنية المتواترة من سورة آل عمران، وبيان الاختلاف الحاصل فيها، والأثر الذي طرأ على مبنى ومعنى الكلمة القرآنية، وهذا من خلال نسبتها إلى القارئ الذي قرأ بها وتوجيهها، ولبيان ذلك اعتمد الباحث على كتب القراءات والتوجيه والتفسير، وكتب اللغة للوصول إلى الاختلاف الحاصل في المفردة القرآنية، وقد اتبع الباحث في بحثه المنهج الاستقرائي والاستنباطي مع ما تقتضيه قواعد البحث العلمي، واقتصر على القراءات المتواترة في سورة آل عمران، ولم يذكر القراءات الشاذة خشية الإطالة في البحث، وقد التزم الباحث بذكر القراءات المتواترة في الكلمة ونسبتها إلى قارئها، ومن ثم وجه القراءة وبين اختلاف المعنى الحاصل في القراءات للمفردة القرآنية للدلالة على عمق القراءات، وأن الاختلاف الحاصل في القراءات هو من باب التيسير للناس في التلاوة، وتوسيع المعنى للآية، وليس من باب التضاد والتناقض. ومن خلال هذا البحث يوصي الباحث الباحثين في علم القراءات بتتبع القراءات، والإسهام في توضيح الفارق بين القراءات في المباني والمعاني للمفردات القرآنية، وأن الاختلاف ليس اختلاف تضاد، وإنما اختلاف تنوع في القراءة، وتوسيع للمعنى، وهذا سيؤدي إلى التقارب والانسجام بين أفهام المسلمين، والتصدي لأعداء الدين الذين يحاولون التشكيك في كتاب الله من خلال الحديث عن تعدد القراءات القرآنية، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

الكلمات المفتاحية : اختلاف، القراءات المتواترة، مبنى، معنى.

Explaining The Difference in Authentic Qiraa'aat and its effect on structure and Meaning (Selected Examples from Surat Al Omran)

Talib bin Issa bin Saeed Al-Kiyoumi
College of Sharia Sciences , Muscat , Authority of Oman

Email: *talkaiomi@css.edu.om*

Abstract:

This research dealt with the topic of (explaining the differences in Authentic Qiraa'aat and the effect of that on the structure and meaning, "Selected models from Surat Al Omran," where the researcher, took examples of the frequent Qur'anic readings from Surat Al Omran, and explained the difference occurring in them. And the impact that occurred on the structure and meaning of the Qur'anic word, and this is through attributing it to the reader who read it, and directing it, and to explain this, the researcher relied on books of readings, guidance, interpretation, and language books to reach the difference occurring in the Qur'anic word.In his research, the researcher followed the inductive and deductive method with what is required by the rules of scientific research, and limited himself to the frequent readings in Surat Al Omran, and did not mention the abnormal readings for fear of prolonging the research. The researcher committed himself to mentioning the frequent readings in the word and attributing them to its reader, and then directed the reading and explained The difference in meaning in the recitations of the Qur'anic word indicates the depth of the recitations, and that the difference occurring in the recitations is for the sake of facilitating the recitation for people and expanding the meaning of the verse, and not for the sake of contradiction and contradiction.Through this research, the researcher recommends that researchers in the science of readings follow the readings, and contribute to clarifying the difference between the readings in the buildings and meanings of the Qur'anic vocabulary, and that the difference is not a difference of opposition, but rather a difference in diversity in the reading, and an expansion of the meaning, and this will lead to rapprochement and harmony between the understandings of Muslims, and confronting For the enemies of religion who try to cast doubt on the Book of God by talking about the multiple readings of the Qur'an, this study included an introduction, three sections, and a conclusion.

Keywords: *Difference, Frequent Readings, Structure, Meaning.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل القرآن تبيانًا لكل شيء، وهداية ونورًا لكل حي، أنزله الله تعالى محكمًا في آياته، مفصلًا في تشريعاته، لا يوجد فيه تناقض ولا تضاد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]، فالقرآن الكريم جعله الله ميسرًا للناس في أحكامه وتلاوته، أنزله بلسان عربي مبين، ليكون معجزًا للإنس والجن أجمعين، ويعلم الخلق أنه منزل من رب العالمين، فتعددت قراءاته، وتوسعت معانيه، ومع تعدد القراءات فيه لا يوجد تضاد أو اختلاف بين آياته، بل هي تكمِّل بعضها بعضا في المعنى، وتسهل التلاوة بتعددها واختلافها، مجاراة لألسن الخلق؛ لذلك أنزل العلماء جميع القراءات المتواترة منزلة القرآن الواحد في أحكامه وتشريعاته، فلم يجعلوا فوارق بين هذه القراءات، ولم يردوا إحداها بما أنها ثبتت عن رسول الله ﷺ.

ومن خلال هذا البحث سيوضح الباحث الاختلاف الكائن في المفردات القرآنية، وأثرها على معنى الكلمة ومبناها، وما هي النتائج من هذا الاختلاف؟ وهل يوجد تضاد أو تناقض بين القراءات القرآنية؟ أم الاختلاف إنما هو اختلاف تغاير وتنوع؟

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في إيضاح المفهوم العام من تعدد القراءات، وبيان الإشكال الواقع عند القراءة بالقراءات القرآنية فيما يتعلق بتغيير المبنى والمعنى للكلمة القرآنية، وإشكالية البحث ألخصها في هذه الأسئلة:

١- ما مفهوم المفردات القرآنية، وما هي الحكمة من تعدد القراءات فيها؟

٢- ما نوع الاختلاف في القراءات القرآنية، وما أثر ذلك في مبنى ومعنى المفردة القرآنية؟

٣- ما سبب ترابط الكلمات القرآنية مع تعدد قراءاتها واختلافها في المعنى والمبنى؟

٤- ما هي الردود التي ينبغي أن يُرد بها على الشبه الواردة في تعدد القراءات؟

أهداف البحث:

هدفت هذه الدراسة إلى الآتي:

١- توضيح مفهوم المفردات القرآنية، وتبيين الحكمة من تعدد القراءات فيها.

٢- ذكر نوع الاختلاف في القراءات القرآنية، والأثر المترتب عليه في مبنى ومعنى المفردة القرآنية.

٣- تبيين سبب ترابط الكلمات القرآنية مع تعدد قراءاتها واختلافها في المعنى والمبنى.

٤- معرفة الردود التي ينبغي أن يُردَّ بها على الشبه الواردة في تعدد القراءات.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الموضوع في أمور منها:

١- أنه يتعلق بأشرف وأهم كتاب جعله الله للبشرية.

٢- هذا الموضوع وإن كانت جذوره وأصوله مبسوطة في كتب القراءات والتفسير واللغة، إلا أنه يحتاج إلى حداثة في الأسلوب؛ ليسهل تناوله واستيعابه، وتيسير فهمه.

٣- هذا الموضوع يعالج قضية هامة لدى المسلمين، من حيث فهم أسباب تعدد القراءات، ودفع الشبه التي تحوم حولها.

٤- يسهم هذا البحث في إبراز الإعجاز القرآني من خلال تعدد القراءات القرآنية.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع أسهم فيه كثير من الباحثين، فهو في نماء مستمر؛ لأهميته وتعلقه بكتاب الله تعالى، وقد وقفت على بعضها، ومن أبرزها:

١- أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، عبد الرحمن الجمل، بحث محكم نشر في مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، فلسطين (المجلد ١٨ – العدد ١) لسنة ٢٠٠٤م، بيّن الباحث في هذا البحث الصلة الوثيقة بين علم القراءات وعلم الوقف والابتداء، وحكم الوقف على كل قراءة، مثبتًا أن نوع الوقف يختلف باختلاف القراءة، فحديثه انحصر فيما يتعلق بأنواع الوقوف على القراءة القرآنية.

٢- أثر اختلاف القراءات المتواترة في تفسير سورة البقرة من خلال الجزء الأول (جمعا ودراسة وتوجيها)، أحمد علي أحمد، بحث محكم نشر في كلية الآداب، جامعة كردفان، السودان، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، العدد الثامن، لسنة: ٢٠٢٣م، وقد قام الباحث بجمع القراءات القرآنية العشر المتواترة التي أوردها أبو حيّان في تفسيره وغيره، ثّم نسبها لمن قرأ بها من القرّاء العشرة، وقام بتوجيهها، ولم يركز التركيز الأمثل على الآثار المترتبة على المفردة القرآنية من حيث المبنى والمعنى.

٣- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، رسالة دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، لعام ١٤١٣هـ، في هذا البحث ذكر الباحث تعريف القرآن ونزوله وجمعه، ثم عرف القراءات وذكر نشأتها وفوائدها، والصلة التي بينها وبين التفسير،

وبين كذلك القراءات التي لها علاقة بأصول الفقه من حيث العموم والإطلاق والإجمال، فكان البحث متوسعًا، ولم تلق المفردة القرآنية مزيدًا من التوضيح من حيث الأثر المترتب على تغيير المبنى والمعنى.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي المقارن، حيث إنه استقرأ القراءات المتواترة في سورة آل عمران، والتزم برواية حفص عن عاصم، فأخذ أنموذجات من بعض القراءات مع توثيق إسنادها وتوجيهها، وقام بالتحليل والمقارنة بين القراءات، ثم خلص إلى استقراء أهم الحِكم والمقاصد من اختلاف القراءات، وما يتعلق بمبنى ومعنى المفردة القرآنية، معتمدًا على ذلك بكتب علم القراءات من حيث الإسناد والتوجيه، وكتب التفسير، وكتب علوم اللغة، وغيرها من الكتب المتعلق بالموضوع، والباحث لم يعرف بالأعلام المذكورين خشية الإطالة في هذا البحث القصير.

خطة البحث:

مقدمة، وتتضمن مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة المتعلقة به، ومنهج البحث، وخطته، وجعلت البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريفات المتعلقة بعنوان البحث، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة اختلاف، وكلمة مفردات.

المطلب الثاني: تعريف القراءات، التواتر، أثر.

المطلب الثالث: تعريف كلمة مبنى، معنى.

المبحث الثاني: حكمة اختلاف القراءات، وحُكم رد قراءة صحيحة، ورد الشبه الواردة

في ذلك، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكمة اختلاف القراءات.

المطلب الثاني: حُكم رد قراءة صحيحة، أو ترجيح قراءة على قراءة أخرى.

المطلب الثالث: رد الشبه الواردة في اختلاف القراءات.

المبحث الثالث: أنواع الاختلاف وأثر ذلك في الكلمة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختلاف في اللفظ، واتحاد في المعنى.

المطلب الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

المطلب الثالث: اختلاف في اللفظ والمعنى مع عدم جواز اجتماعهما في شيء واحد.

وخُتم البحث بعرض أبرز **النتائج والتوصيات**.

المبحث الأول

التعريفات المتعلقة بعنوان البحث

في هذا المبحث سيتم ذكر التعريفات المتعلقة بألفاظ عنوان البحث؛ ليتسنى للقارئ فهم المصطلحات الواردة في البحث.

المطلب الأول: تعريف كلمة اختلاف، وكلمة مفردات.

أولا: اختلاف، لغة: على وزن (افْتِعَال) بمعنى: التغاير، والتفاوت، والتناقض، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق، واختلاف مفرد مصدره اختلفَ: اختلفَ إلى، اختلفَ على، اختلفَ عن، اختلفَ في..[١]

أما الخلاف في الاصطلاح لا يختلف عن معناه اللغوي، وقد عرف المخالفة الراغب الأصفهاني بقوله: " المخالفة: أن يأخذ كلّ واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلَاف أعمّ من الضّدّ؛ لأنّ كلّ ضدّين مختلفان، وليس كلّ مختلفين ضدّين"[٢] .

والخلاف الذي نحن بصدد الحديث عنه هو: أن تُقرأ الكلمة القرآنية بالقراءات المتواترة مما يؤدي إلى اختلاف في لفظها مع اتفاق في معناها، أو اختلاف في لفظها ومعناها.

---

(١) الحموي، المصباح المنير، ج١، ص١٧٨، أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج(١)، ص٦٨٥.

(٢) الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٤.

والاختلاف في القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير، يقوم على الخلافات اللغوية لفظًا ومعنى أو من حيث اللفظ فقط دون المعنى، الذي لا يترتب عليه إثبات القراءة الأولى وإبطال الأخرى، وهذا اختلاف محمود يفيد في فهم المعنى للآية ويثريه عند تعدد القراءات[١] .

ثانيا: مفردات، لغة: جمع مفردة: وتعني الكلمة، ومفردات اللغة: جميع الكلمات الموجودة في اللغة[٢].

والمقصود بمفردات القرآن في الاصطلاح: ألفاظ القرآن الكريم المفردة، وقد يغلب إطلاق هذا المصطلح على الغريب منها[٣] [٥]، ومن الأمثلة على ذلك قول الراغب في كتابه المفردات: "وذكرت أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه"[٤] .

(١)انظر: ابن الجزري، النشر، ج(١)، ص٤٩، النويري، شرح طيبة النشر، ج(١)، ص١٦٦.
(٢) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج (٣)، ص١٦٨٦.
(٣) https://islamic-content.com/dictionary/word/9816 ، 22/4/2024م.
(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٤.

المطلب الثاني

تعريف القراءات، التواتر، أثر

أولا: القراءات لغة:

جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنا، والقراءة بمعنى الجمع، وقَرَأَ الشيءَ: جَمَعَه وضَمَّه ، أَي: ضَمَّ بعْضَه إِلى بعضٍ، وقَرَأْتُ الشيْءَ قُرْآنًا: جَمعْتُه وضمَمْتُ بعْضَه إِلى بعضٍ(١)، وقَارَأَه مُقارَأَةً وقِراءً، بِغَيْرِ هَاءٍ: دارَسه(٢)، وقرأْتُ القرآنَ: لفظتُ بِهِ مجموعًا(٣).

اصطلاحاً: عرَّفها القسطلاني بقوله: "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله، واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق، والإبدال من حيث السماع. أو هي: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا إلى ناقله"(٤).

والمشهور هو تعريف الإمام ابن الجزري، حيث قال في تعريف القراءات: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(٥).

ثانيا: التواتر لغة:

مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو تَفاعُلٌ من الوتْر وهو الفَرْد، يقال: واتَرْتُ الخبرَ: اتبعتُ بعضَه بعضًا، وبين الخبرين هُنَيْهَة، قال الله تعالى:

---

(١)الزبيدي، تاج العروس، ج(١)، ص٣٧٠، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ١٢٨.

(٢)ابن منظور، لسان العرب، ج(١)، ص١٢٩.

(٣)الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج(٩)، ٢١٠.

(٤)القسطلاني، لطائف الإشارات، ج(١)، ص٣٥٥.

(٥) ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٩.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون: ٤٤] (١)، وفي اللسان: تواترت الإبل والقطا وكل شيء إذا جاء بعضه في إثر بعض ولم تجئ مصطفة(٢).

اصطلاحًا: التواتر ما جازَ حصول العلم به؛ لكثرة رواته(٣).

وعند الجرجاني:"هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب"(٤).

أما السيوطي، فيقول عن التواتر: "هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك"(٥) (١٦).

ثالثا: تعريف كلمة (أثر):

لغة: (الأثر) بفتحتين ما بقي من رسْم الشيء، و(التأثير): إبقاء الأثر في الشيء(٦)

وفي الاصطلاح: له ثلاثة معانٍ: الأول، بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء"(٧).

والذي يخص موضوعنا هو التعريف الأول الذي هو النتيجة الحصلة من الشيء، وفي معجم لغة الفقهاء الأثر هو: "العلامة التي يخلفها الشيء"(٨).

---

(١)الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ص ١٩٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج(٥)، ص ٢٧٥.
(٣)ابن مهران، الفروق اللغوية، ص ٢٢٦.
(٤) الجرجاني، التعريفات، ص ٧٠.
(٥)السيوطي، الإتقان، ج(١)، ص٢٦١.
(٦) الرازي، مختار الصحاح، ص ١٣.
(٧) الجورجاني، التعريفات، ص٣٠.
(٨) محمد رواس، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ص ٤٢.

المطلب الثالث

تعريف كلمة مبنى، ومعنى

أولا: لغة (مبنى): اسم، الجمع، مبانٍ ومباني، وحروف المباني: الحروف الهجائية التي تُبنى منها الكلمة، وليس للحرف معنى مستقل(١).

اصطلاحا: المبنى المتعلق بالكلمة يطلق على الهيئة الحاصلة للّفظ باعتبار ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها(٢).

ثانيا: لغة (معنى): مفرد، جمعها معانٍ، ومعنى الشيء ومعناته واحد، ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه اللفظ(٣).

وفي الاصطلاح:

تصوُّر يرتبط باللَّفظ في الذِّهن ارتباطًا عُرفيًّا بالمطابقة وهو المعنى الحقيقيّ، أو ذهنيًّا بالتَّضمُّن أو اللّازم، وهو المعنى الضِّمنيّ، أو مجازيًّا بواسطة الاستعارة، وهو المعنى المجازيّ، أو طبيعيًّا بحكاية الصوت للمعنى، وهو المعنى الطبيعيّ(٤).

---

(١) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج(١)، ص ٢٥٣.
(٢) التهاوني، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج(١)، ص٣٤٥.
(٣) الزبيدي، تاج العروس، ج(٣٩)، ص١٢٣.
(٤) أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج(١)، ص٢٥٣.

المبحث الثاني

حكمة اختلاف القراءات، وحكم رد قراءة صحيحة

ورد الشبه الواردة في ذلك

في هذا المبحث سيتم الحديث عن الحكمة المتعلقة باختلاف القراءات، وما الفائدة من تنوعها، وما حكم من رد قراءة قرآنية صحيحة، وذكر الردود الواردة في هذا الموضوع.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكمة اختلاف القراءات:

ليس المراد من اختلاف القراءات التحريف أو التغيير والتبديل، أو يكون فيها نوع من التناقض والتضاد، وإنما لحِكمٍ أرادها الله تعالى للبشرية، نذكر بعضها:

١- فيها توسعة للناس وتيسير لهم ليتلوا كتاب ربهم، حيث أنزل القرآن على عدة لهجات، ففي الحديث الذي رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[(١)] ، وخير مثال على أن القراءات جاءت تيسيرا للناس وتسهيلاً لهم في التلاوة قصة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، حيث قال عمر: "سمعت هشامَ بن حكيم ابن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها،

---

(١) رواه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، برقم (٨١٩)، من طريق ابن عباس، ج(١)، ص٥٦١.

فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه"(١).

٢- شرح الألفاظ وتوضيحها من خلال بعض القراءات، ففي سورة القارعة: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ [الآية: ٥]، لم يفهم معنى العهن، فقرئت هذه الآية بقراءة أخرى بينت معنى العهن (وتكون الجبال كالصوف المنفوش)، فبينتْ القراءة الثانية أن العهن هو الصوف.

ومن الأمثلة كذلك تفسير كلمة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ البقرة:٢٣٨، فقراءة حفصة وعائشة فسرت معنى الوسطى، وهي صلاة العصر (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) (٢).

٣- الإعجاز، مع تعدد هذه القراءات وتباينها لا تتضاد مع بعضها البعض، وإنما كل قراءة مكملة للأخرى، وهذا يدل دلالة واضحة أن هذا القرآن يستحيل أن يكون من عند البشر، بل هو من الله تعالى، حيث جعل آياته مُتقنة، وقراءاته متعددة، من غير أن يعيب عليه أحد، أو يجد فيه خللًا أو زللًا، من يوم أنزل على سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا، بل إلى يوم القيامة لن يجد الخلق من الأنس والجن أجمعين عليه إلا الترابط بين آياته، والانسجام في موضوعاته.

٤- القراءات تثري التفسير فتجعل من الآية الواحدة عدة معان، منها قوله تعالى:

---

(١) المصدر نفسه، برقم (٨١٨)، من طريق ابن عباس، ج(١)، ص٥٦١.

(٢) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج(٢)، ص٥٤٥.

﴿ وَإِذَآ أَرَدنَآ أَن نُّهلِكَ قَريَةً أَمَرنَا مُترَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ كلمة (أمرنا) جاءت بعدة قراءات في هذه الآية، وكل قراءة لها معنى مختلف عن القراءة الأخرى، فتقرأ (أَمَرْنا) بالتخفيف، وهي القراءة المشهورة، والمقصود منها: أمرناهم بالعدل فخالفوا ففسقوا، والقراءة الثانية بالتشديد (أمّرنا) والمعنى: كثرناهم، والكثرة إلى التخليط أقرب عادة، والقراءة الثالثة بالمد وتخفيف الميم (آمَرنا) ويكون معناه الكثرة، فإن أَفْعَل وفَعَّل ينظران في التصريف من مشكاة واحدة، ويحتمل أن يكون من الإمارة، أي: جعلناهم أمراء، فإما أن يريد من جعلهم ولاة، فيلزمهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقصرون فيه فيهلكون، وإما أن يكون من أن كل من ملك دارًا وعيالًا وخادمًا، فهو ملك وأمير[1].

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، ج(٣)، ص١٨٢.

المطلب الثاني

حُكم رد قراءة صحيحة، أو ترجيح قراءة على قراءة أخرى.

أولا: حكم رد قراءة صحيحة:

اتفق العلماء أن كل ما صح عن النبي ﷺ فيما يتعلق بالقراءات القرآنية لا يجوز رده، بل يجب أخذه، والعمل به، وهذا إذا جاءت القراءة موافقة للشروط التي اشترطها العلماء فيما يتعلق بصحة القراءة، وهي: التواتر، وموافقة وجه من وجوه العربية، وموافقة الرسم العثماني، فإذا جاءت القراءة على هذا النحو فإنها تُعد قرآنًا لا يجوز رد شيء منها، وما ذُكر عن بعض المتقدمين أنهم ردوا قراءة صحيحة فلسبب عندهم، كما فعل الطبري أنه أنكر قراءة ابن عامر، فهذا الإنكار جاء بناء على أن سند قراءة ابن عامر لم يثبت عنده فردها، وأما الذي يثبت عنده فلا يرده؛ لذلك أُعتذر له من هذا الباب(١).

ثانيا: ترجيح قراءة على قراءة أخرى:

لا يسوغِ العلماء ترجيح قراءة صحيحة على قراءة أخرى صحيحة، وذلك لتواتر القراءتين، وعلى هذا نص جمع من العلماء، يقول النحاس في إعراب القرآن:" والسلامة من هذا عند أهل الدين: إذا صحّت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال إحداهما أجود من الأخرى؛ لأنهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك"(٢) ، وهذا ما نجده عند الإمام الطبري عندما تعرض لقراءة ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال: "والقول في ذلك عندي أنّ معنى (الإنشاز) ومعنى (الإنشار) متقاربان؛ لأن

(١) انظر، الطيار مساعد بن سليمان، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن الجوزي، ص٣٥.
(٢) النحاس، إعراب القرآن، ج(٥)، ص٤٣.

معنى (الإنشاز): التركيبُ والإثبات ورد العظام إلى العظام، ومعنى (الإنشار) إعادة الحياة إلى العظام، وإعادتها لا شك أنه ردُّها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها، فهما وإن اختلفا في اللفظ فإنهما يتقاربان في المعنى، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئًا يقطعُ العذر ويوجب الحجة، فبأيِّهما قرأ القارئ فمصيب لانقياد معنييهما، ولا حجة توجب لإحداهما القضاءَ بالصواب على الأخرى"[1].

المطلب الثالث

رد الشبه الواردة في اختلاف القراءات:

مما لا شك فيه أن أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا يبحثون عن أية ثغرة من خلالها ينقصون من شأن القرآن الكريم ويشككون فيه، ويجعلونه كأي كتاب ألفه مألفه، ففيه الصواب وفيه الخطأ ـ على حد زعمهم ـ لذلك نرى كثيرًا من الشبه ظهرت؛ لتشويش الناس وتشكيكهم في كتاب ربهم، وقد دأب العلماء الراسخون المتقدمون منهم والمتأخرون يذبون عن كتاب الله تعالى ويدفعون الشبه التي يوردها أعداء الإسلام، ومن بين الشبه:

١- قالوا: اختلاف القراءات القرآنية تولد اضطرابًا في النص القرآني، وهذه الشبه من الشبه القديمة والحديثة عندهم، فهم يقولون: إن القراءات فيها اختلاف، والقرآن ينص بعدم وجود اختلاف فيه، والاستدلال عندهم بقوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤٢]، وذكروا أن الصحابة ـ رضي الله

(١) الطبري، جامع البيان، ج(٥)، ص٤٧٨.

عنهم _كانوا يختلفون في الحرف والقراء يختلفون، فمنهم من ينصب الكلمة، ومنهم من يرفعها، وقالوا: "أنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون، وأي باطل بعد هذا الخطأ واللحن تبتغون؟!!"(١) ، وهذا ما نص عليه المستشرق اليهودي (جولد تسهر)، حيث قال:" فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًّا على أنه نصٌّ منزل أو موحى به، يقدم في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نص القرآن"(٢) ، والظاهر من كلامهم أنهم يعتبرون اختلاف القراءات فيه اضطراب في النص القرآني، ويرون أن هذا الاختلاف يخالف ما ذكره الله تعالى في كتابه ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾، والرد على هذا: هو أن النص القرآني لا يوجد فيه اختلاف مع تعدد القراءات؛ لأن الاختلاف في القراءات اختلاف تغاير وتنوع وليس اختلاف تباين وتضاد، فلو استقرأنا القراءات الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ لما وجدناها تتضاد فيما بينها، وإنما نجد فيها التوسعة في المعنى، والترابط في الموضوع، وهذا الاختلاف لا يخالف قوله تعالى ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾؛ لأن الاختلاف الذي يقصده الله تعالى هو اختلاف التباين والتضاد، وهذا لا وجود له في القرآن الكريم، وتعدد القراءات من الحِكم التي أرادها الله تعالى في كتابه؛ ليوسع على الناس في التلاوة، فكل يقرأ بلهجته كما قال رسول الله ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه"(٣) .

---

(١) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢٤.

(٢) جولد تسهر، مذهب التفسير الإسلامي، ص٤.

(٣) سبق تخريجه، ص١٠.

٢- ومن الشبه كذلك التي ذكرها المستشرق جولد تسهر أن القراءات ليست من عند الله تعالى، وإنما سبب تعددها هو الرسم العثماني الذي كان من دون تنقيط أو تشكيل، حيث قال: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد الكتابة العربية الأصيلة ما يحدده إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في الحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطًا أصلًا، أو لم تتحر الدقة في نقطة أو تحريكه"[(١)] ، وهذه الشبه تصور أن الصحابة الكرام بسبب خُلُو المصحف الشريف في عصرهم من التنقيط والتشكيل جاؤوا بكلمات قرآنية تعبر عن آرائهم وتدعم اتجاهاتهم، والذي ينظر إلى هذه الشبه يعلم يقينًا أن هؤلاء المشككين في القرآن لا يحيطون بمجمل الموضوع إحاطة تامة ليستوفوا الموضوع وينصفوه، وإنما يحيطون بالموضوع الإحاطة السطحية ليدخلوا بها في باب الطعن والتنقيص للقرآن، وأما المتتبع لتفاصيل الموضوع وأركانه يعلم أن القراءات القرآنية يستحيل أن تكون من عند الخلق، بل هي من عند الخالق ﷻ، فالله تعالى أرسل جبريل _عليه السلام_ ليقرئ سيدنا محمد ﷺ القرآن بقراءاته، وهذا ما نص عليه رسول الله ﷺ بقوله:" أقرأني جبريل _عليه السلام_ على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني

(١) جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨ – ٩.

حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[١] ، ثم بعد ذلك أخذ الصحابة الكرام القراءات بالتلقي من رسول الله ﷺ والقصص والأخبار في هذا كثيرة، منها قصة عبدالله بن مسعود مع الرجل الذي قرأ آية بخلاف ما سمعها ابن مسعود من الرسول ﷺ فأخذ بيده وانطلق به إلى النبي ﷺ، فقرآ عليه، فقال ﷺ: "كلاكما محسن فقرآ "[٢] ، فالصحابة الكرام لم يأخذوا القراءات من الرسم، وإنما أخذوها بالتلقي من رسول الله ﷺ، ثم نقلوها للتابعين من بعدهم، لذلك اشترط العلماء في صحة القراءة أن تكون متواترة، وهو الشرط الأساس في قبول القراءة، فلو كانت القراءة موافقة للرسم العثماني، وموافقة للعربية ولو بوجه من وجوهها لكنها تفتقر إلى التواتر فإنها ترد ولا يُقرأ بها، وهذا ما نجده كثيرًا في كتب توجيه القراءات، فالعلماء يوجهون القراءة ويأتون بوجوه العربية فيها لكنهم يشترطون تواترها، ومن أمثلة ذلك مكي بن أبي طالب في الكشف عندما وجه القراءة في قوله تعالى ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ [آل عمران: ٢٧]، ذكر أنها تقرأ بالتشديد والتخفيف وساق الأدلة للفريقين ثم قال: "فأما من خفف بعضًا وشدد بعضًا فإنه جمع بين اللغتين لاشتهارهما، مع نقله ذلك عن أئمته"[٣] ، والملاحظ في ختام كلامه أنه اشترط النقل في القراءة ولم يكتف بسلامة اللغة، وهذا كثير.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ج(١)، ص٥٦١، رقم ٢٧٢ – (٨١٩).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب: اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم، ج(٦)، ص١٦٨.

(٣) القيسي، الكشف، ج(١)، ص٢٩٥.

ومن الأدلة أيضًا على أن القراءات جاءت بالتواتر ما نراه في زماننا الحالي، فلو نظرنا لمن يقرأ في أقصى المشرق، ولمن يقرأ في أقصى المغرب، لوجدنا أن القراءات لا تختلف عن بعضها البعض، بل متوافقة في أصولها وفرشها، وهذه دلالة واضحة أن الجميع أخذ القراءة بالتلقي، وليس بالنظر إلى الخط العربي فقط.

ومن الأسباب كذلك التي من خلالها نوقن أن القراءات من عند الله تعالى هو الإعجاز، فالقراءات القرآنية يستحيل أن يأتي بها أحد من الخلق؛ لما فيها من قوة الترابط في المعاني، والانسجام في الألفاظ، وخلوها من التضاد أو الاختلاف فيما بينها.

المبحث الثالث

أنواع الاختلاف وأثر ذلك في الكلمة

من خلال هذا المبحث ستتضح لنا فوائد القراءات وأهدافها، وأنها جاءت تيسيرًا للعباد في قراءتهم، وإثراءً للمعنى في الكلمة القرآنية وتوسيعه.

المطلب الأول: اختلاف في اللفظ، واتحاد في المعنى

وهذا الاختلاف محله اللهجات العربية، فهو متعلق في نطق الكلمة من حيث حروفها وحركاتها، فبعض العرب يلتزمون بمقادير معينة في المدود، ويوظفون التخفيف والتسهيل والإمالات في ألفاظهم، وإعمال صفات الحروف من شدة ورخاوة وإطباق وانفتاح إلى غير ذلك من الصفات عند نطقهم للحرف العربي، وهذا بمجمله يفيد في حفظ لغات العرب الأصيلة، فالقراءات من هذا الباب لها مزية حفظ اللغة العربية من الضياع والتغيير والتبديل، ومن الأمثلة في سورة آل عمران فيما يتعلق باختلاف اللفظ واتحاد المعنى:

أولا: اختلاف الحركات: ونذكر في هذا الباب ياءات الإضافة في سورة آل عمران، وهي ست ياءات، من القراء من فتحها، ومنهم من أسكنها، وهي على النحو الآتي:

- ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [الآية: ٢٠]، نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص قرؤوا بفتح الياء، والباقون قرؤوا بالسكون.
- ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية: ٣٥]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ [الآية: ٤١]، قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر في هذين الموضعين بالفتح، والباقون بالسكون.

- ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيَ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ [الآية: ٣٦]، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٥٢]، نافع وأبو جعفر قرآ بفتح الياء، والباقون بالسكون.
- ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [الآية: ٤٩]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو بالفتح، والباقون بسكون الياء[١].

وتوجيه القراءة هو أن الفتح والإسكان لغتان فاشيتان عند العرب، فحجة من فتح هو أن الياء زائدة، وهي اسم المضاف إليه والأصل فيها الحركة؛ لأن الاسم لا يكون على حرف ساكن، ودليل ذلك أنها كالكاف في (عليك) وكالهاء في (عليه) وكالتاء في (رأيت) وهذه المضمرات لا تأتي إلا متحركات، فكذلك ياء الإضافة.

وحجة من أسكنها أنه ذهب للتخفيف، فالياء فيها ثقل فإذا تحركت ازدادت ثقلا فحركوها بالفتح؛ لأن الفتحة أخف الحركات، وهي الأقوى والأفصح؛ لأنها الأصل[٢].

والذي نلحظه في هاتين القراءتين أن تغيير الحركات لم يؤثر على معنى الآية، فالمعنى واحد في القراءتين.

ثانيا: اختلاف نطق الحرف، ومثال ذلك في الإمالات، والمراد بالإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء [٣] ، ومن الأمثلة على الإمالة في سورة آل عمران:

- ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الآية:٣]، أمال إمالة كبرى أبو عمرو والكسائي وخلف وابن ذكوان، واختلف عن حمزة وقالون وورش، أما حمزة فروى عنه

(١) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٢٤٧.
(٢) انظر: القيسي، الكشف، ج(١)، ص٢٨١.
(٣) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٣٠.

العراقيون الإمالة الكبرى، وجمهور المغاربة رووا عنه التقليل[١] ، وأما قالون روى عنه المغاربة قاطبة الإمالة الصغرى، والعراقيون رووا عنه القراءة بالفتح[٢] ، وأما ورش فروى عنه الإمالة المحضة الأصبهاني، وروى عنه الإمالة الصغرى الأزرق، والباقون قرؤوا بالفتح[٣] .

- ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [الآية:٣٧]، قرأ ابن ذكوان بالإمالة الكبرى في (المحراب) وورش بالصغرى، وباقي القراء بالفتح[٤] .

والإمالة هي لغة من لغات العرب كما قال الداني: "والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"[٥] ، وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن، أو على الأصل[٦] .

ومن الأمثلة كذلك في اختلاف نطق الحروف: تغليظ اللام وترقيقها عند ورش إذا وقعت بعد الصاد أو الطاء أو الظاء، بشرط أن تكون هذه الحروف مفتوحة أو ساكنة، واللام مفتوحة، وهذا التغليظ لا علاقة له بالحركات الإعرابية، فالحركات باقية

---

(١) المراد بالتقليل: الإمالة الصغرى التي بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الكبرى، انظر: ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٣٠.

(٢) المراد بالفتح: خلو الكلمة من الإمالة، أكانت صغرى أم كبرى.

(٣) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٥٠.

(٤) أبو شامة، إبراز المعاني، ص٢٣٨.

(٥) الداني، الموضح، ص١٨.

(٦) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٣٥.

على أصلها، ونطق اللام هو الذي يتغير فقط، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية:١١٧]، فورش يغلظ لام الصلاة والجمهور على ترقيقها، وهذه القراءة لهجة من لهجات العرب، والعلة عند من غلظ هي تقريب الحرف من الحرف، فالحروف المطبقة يستعلي معها اللسان ويخرج الحرف مفخمًا، فتخرج اللام تبعًا لما قبلها فيعمل اللسان في التفخيم عملًا واحدًا في الحرفين، أما الذين رققوا فعلتهم أن اللام حرف مرقق، فأجروها مع حروف الإطباق قبلها كسائر الحروف[١] .

ثالثا: اختلاف إدغام الحروف بعضها ببعض: العرب أرادوا بالإدغام التخفيف والتيسير والسهولة في اللفظ؛ لذلك أكثروا منه، وجعلوا أسبابه ثلاثة: التماثل والتجانس والتقارب[٢] ، ومن الأمثلة على ذلك من سورة آل عمران:

١: التماثل: إدغام الباء المتحركة في الباء المتحركة التي تليها، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية:٣]، وهذا ما يسمى بالإدغام الكبير، وهو عند أبي عمرو البصري من طريق السوسي في الشاطبية، وفي طيبة النشر فعن أبي عمرو بخلاف عنه، أما باقي القراء فيقرؤون بفك الإدغام.

٢: التجانس: ويذكر في كتب القراءات في باب حروف قربت مخارجها، فأدغم اللام الساكنة في الذال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الآية:٢٨]، الكسائي من طريق

(١) ابن الجزري، تحبير التيسير، ص٢٦٩، مكي، الكشف، ج(١)، ص١٨٨.

(٢) التماثل: هو اتفاق الحرفين في المخرج والصفة، كالباء مع الباء، وسائر الحروف المتماثلة، والتجانس: هو اتفاق الحرفين في المخرج واختلافهما في الصفة، كالدال في الثاء، والتقارب: أن يتقاربا مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة، انظر: الطويل: مدخل في علوم لقراءات، ص١٧٥.

أبي الحارث الليث المروزي، والباقون قرؤوا بفك الإدغام[١] .

٣:التقارب: إدغام الحاء في العين: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: ١٨٥]، وهذه القراءة رواية اليزيدي والسوسي عن أبي عمرو، والباقون قرؤوا بفك الإدغام[٢]

رابعا: الاختلاف في إشباع الحركات، كما يفعله ابن كثير في صلة هاء الضمير المسبوقة بساكن وبعدها متحرك، فإنه يصل هذه الهاء ويقرأ مشبعا إياها بمقدار حركتين من جنس ما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [الآية:٣] فقد أشبع حركة الهاء في (يديهِ) حتى تولدت منها الياء، وهذه الياء يمدها بمقدار حركتين كالمد الطبيعي، ووافقه على ذلك حفص في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان الآية:٣]، أما باقي القراء فهم لا يشبعون حركة الهاء، وإنما يقرؤونها على أصلها[٣] ، والعلة في الحذف أنهم أجروها على أصلها، وهي كذلك محذوفة في الخط، أما حجة ابن كثير بإشباع الهاء ووصلها بياء، أن أصلها في كلمة يديه (يديهو) فقلب الواو ياء للياء التي قبلها، وكسر الهاء فصارت (يديهي)، وأما حجته في الإشباع بالواو فإنه يقرؤها على أصلها[٤] .

---

(١) انظر التوثيق عن التماثل والتجانس عند: الداني، التيسير، ص٣٥، الشاطبي، حرز الأماني، ص٢٣، ابن الجزري، النشر، ج(١)، ص٢٨٠، ابن الجزري، أحمد، شرح طيبة النشر، ص١٣٠.

(٢) ابن الجزري، النشر، ج(١)، ص٢٩٠.

(٣) القباقبي، إيضاح الرموز، ص١١١.

(٤) أبو زرعة، حجة القراءات، ص٨٣.

المطلب الثاني

اختلاف في اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد

مثال ذلك من سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [الآية:٣٦]، الحديث في هذه الآية عن أم مريم، فابن عامر وشعبة ويعقوب قرؤوا بسكون العين وضم التاء (وضعْتُ) [١] ، وعلى هذه القراءة فالضمير المتصل يعود لأم مريم، بمعنى أنها هي من قالت (والله أعلم بما وضعتُ)، واحتجوا على ذلك أن هذا الكلام متصل بما قبله في قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [الآية:٣٦]، ومتصل بما بعده في قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [الآية:٣٦]، أما باقي القراء فقرؤوا بفتح العين وسكون التاء (وضعَتْ)، أيْ: أن الله أعلم بما وضعتْ أم مريم، والحجة في ذلك أنه لو كان من قول أم مريم، لكان وجه الكلام: وأنت أعلم بما وضعت؛ لأنها نادته في أول الكلام في قولها: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾، والمنادى مخاطب، فلما قال: والله أعلم كان الإخبار عن نفسه أولى، فقالت: وضعَتْ[٢] ، وفي القراءتين نلاحظ أنهما اجتمعا في شيء واحد لعدم تضادهما فيه، وهو: وضع أم مريم لمريم.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾ [الآية:٣٧]، حمزة وعاصم والكسائي، وهم جميعا كوفيون قرؤوا بتشديد الفاء، وباقي القراءة بتخفيفها[٣] ، وحجة من شددها أنه أضاف الفعل إلى الله تعالى مناسبةً مع سياق الكلام قبلها في قوله

---

(١) ابن الجزري، النشر، ، ج(٢)، ص٢٣٩.

(٢) القيسي، الكشف، ج(١)، ص٢٩٦.

(٣) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٢٣٩.

تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [الآية:٣٧]، فأخبر الله تعالى عن نفسه بما فعل مع مريم، وأنه كفَّلها زكريا، أي: ألزمه كفالتها، وأما من قرأ بالتخفيف (كفَلها) أنه أسند الفعل لزكريا، بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [الآية: ٤٤]، فأخبر الله تعالى عنهم أنهم تنازعوا في كفالة مريم حتى رموا بأقلامهم، واستهموا بها على كفالة مريم فخرج قلم زكريا فكفلها، فالفعل أسند إليه فوجب تخفيف (كفَلها)[١]، وعلى اختلاف القراءتين في التشديد والتخفيف، فإنهما اشتركا في معنى واحد، وهو كفالة مريم، ولم يقع بينهما تضاد أو تناقض.

المطلب الثالث: اختلاف في اللفظ والمعنى مع عدم جواز اجتماعهما في شيء واحد؛ لاستحالة اجتماعهما فيه:

ومثال ذلك من سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: ١٤٦]، الكوفيون وابن عامر وأبو جعفر قرؤوا بألف من القتال، والباقون بدون ألف (قُتِلَ) من القتل[٢]، فمَن قرأ بالألف فقد أسند فعل القتال للنبي ﷺ، وجملة ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية:١٤٦] مبتدأ وخبر، والجملة صفة للنبي ﷺ، وعلى هذا دل المعنى على أن الربيين قاتلوا أيضًا مع قتال النبي ﷺ، والوجه الثاني: أن يكون قد أسند الفعل إلى الربانيين دون النبي ﷺ فأخبر عنهم بالقتال دون النبي ﷺ، فيكون ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ صفة لـ (نبي) و(الربيون) مرفوعون بفعلهم.

وحجة من قرأ بدون ألف أن يكون فعلًا وما بعده صفة للنبي ﷺ، والفعل مسند إلى النبي بدلالة قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [الأية: ١٤٤] فأخبر أن

---

(١) انظر: القيسي، الكشف، ج(١)، ص٢٩٦.

(٢) ابن الجزري، النشر، ج(٢)، ص٢٤٢.

النبي قد يُقتل، وقد قال تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٦١]، والوجه الثاني: أنّ (قُتِلَ) وما بعده صفة للنبي والفعل مسند إلى ربيين، وربيون على هذا الوجه مرفوعون؛ لأنهم في محل رفع فاعل، وعلى الوجه الأول مرفوعون بالابتداء و(معه) الخبر، والجملة على الوجهين صفة للنبي ﷺ [1].

والناظر في القراءتين مع اختلافهما في اللفظ والمعنى، ومع عدم اجتماعهما لا يجد بينهما تناف أو تضاد أو تعارض، وإنما كل قراءة بمثابة الآية القرآنية، لها حكمها الشرعي، ومعناها اللغوي، كما قال ابن الجزري: "وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله، ولم يسع أحد من الأمة رده ولزم الإيمان به، وإن كله منزل من عند الله؛ إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها واتباع ما تضمنته من المعنى علمًا وعملًا، ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض"[2].

(١) القيسي، الكشف، ج(١)، ص٣١١ _ ٣١٢.

(٢) ابن الجزري، النشر، ج(١)، ص٥١.

الخاتمة

بعد هذا التجوال في هذا البحث وصلت إلى الخاتمة التي أوجزت فيها بعض النتائج التي استخلصتها من البحث، وذكرت التوصيات التي تسهم في إثراء هذا الموضوع، والاهتمام به، وهي على النحو الآتي:

أولا: النتائج:

١- أظهرت هذه الدراسة أن القراءات القرآنية رحمة من الله تعالى، وإجماع الأمة عليها حجة بالغة، فالاختلاف الوارد في القراءات هو توسعة وتيسير للناس من حيث نطق المفردة القرآنية وتعدد معانيها، ولا يعني الاختلاف في القراءات بأي حال من الأحوال أنه يُذهب بالطرف الآخر إلى الخصام والفرقة، بل العكس يولد الألفة والتيسير والتسهيل في القراءة.

٢- دراسة هذا الموضوع بينت أنه لا يجوز رد قراءة قرآنية ثبتت بالشروط الثلاثة المعروفة عند العلماء، أو ترجيح قراءة على أخرى، وإسقاط الأخرى على أن الأولى أقوى منها، وذلك لأن كل القراءات القرآنية المتواترة كلها من عند الله تعالى، وجميع هذه القراءات في حقيقتها تفضي إلى تعدد الدلالات والآثار، بما يجعلها موضحة لأكثر من معنى في الآية الواحد.

٣- المفردات القرآنية الثابتة مع تعدد قراءاتها واختلاف معانيها هي مترابطة ومتماسكة مع بعضها البعض؛ لأنها من عند الله تعالى، فاللفظ القرآني المتواتر بمجموع قراءته هو قرآن من عند الله تعالى، يثري المعنى يرفده بثروة لغوية، وأحكام فقهية وشرعية، وتعدد هذا الألفاظ في القراءات القرآنية هي في حقيقتها مقصد من مقاصد الدين الحنيف.

٤- يتبين من دراسة هذا الموضوع أن الشبه التي ادعاها أعداء الإسلام لا صحة لها؛ لافتقارها إلى الأدلة النقلية والعقلية، وأنها لا تنطلق من مطلق علمي رصين، بل هي محالة للتشكيك والإيهام للمسلمين وغيرهم أن هذه القراءات ليست من عند الله تعالى، لذلك الرد على تشكيكهم واجب لتتجلى الحقيقة، وتتلاشى الأوهام الباطلة التي تحاك ضد كتاب الله.

٥- اختلاف القراءات القرآنية وتقصي توجيهها، واكتشاف الآثار البيانية والفقهية والتفسيرية فيها هو لون من ألوان الإعجاز القرآني، الذي لا يُتصور أن هذا القرآن من عند غير الله، فمع مرور الأيام والسنوات لا تجد من يعيب على قراءاته، أو ينكر أحكامه وتشريعاته، بل هو باب مفتوح إلى يوم القيام لكل باحث ليتقصى دلالته، ويسبر آفاق أسراره، ويستنبط إشاراته، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ثانيا: التوصيات:

١- علم القراءات علمٌ واسع، فجدير على طلبة العلم أن يسهموا في نشره وإثرائه، والتعمق فيه بحثًا وتطبيقًا؛ لما فيه من تأثير على فهم النص القرآني وبيانه، وجعل وحداته الموضوعية مترابطة منضبطة.

٢- تشجيع الباحثين على الاطلاع لما كتبه أعداء الإسلام، وما ينسجونه من التشكيك في كتاب الله تعالى وقراءاته، والرد عليهم بالردود العلمية الرصينة، التي لا تدع مجال للشك أن هذه القرآن وقراءاته من عند الله تعالى.

٣-ومن التوصيات كذلك في هذا الموضوع أن تفتح الكليات الشرعية مقررات تتعلق بالقراءات القرآنية، من حيث توجيهها وتبيين مكانتها العلمية، التي تخدم علوم اللغة والفقه والتفسير.

المصادر

١- أحمد مختار عبد الحميد وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢- الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق ، مصر، دط، ١٣١١ هـ.

٤- التهاوني، محمد بن علي (ت بعد ١٧٤٥م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٥- الجرجاني، علي بن محمد، الشريف الحسني (ت ٨١٦)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٦- ابن الجزري، أحمد بن محمد (ت:٨٥٣هـ)، شرح طيبة النشر، دار الصحابة، مصر، دط، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٧- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، ت:أحمد محمد، جمعية المحافظة على القرآن، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ ــ ٢٠١٠م.

٨- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت: ٨٣٣هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩- ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ت: على محمد

الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، مصر، د.ط، د.ت.

١٠- جولد تسهر، اغناتس، المستشرق اليهودي الهنغاري (ت ١٩٢١م)، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، د.ط، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

١١- الحموي، أحمد بن محمد (ت بعد ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت، د.ت، د.ط.

١٢- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، ١٤٢٠هـ.

١٣- الداني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ)، التيسير في القراءات السبع، ت: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٤- الداني، عثمان بن سعيد، الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، ت: فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١٠.

١٥- الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٦- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

١٧- الزبيدي، محمد مرتضى الحسين، (ت ١١٤٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ط، د.ت.

١٨- أبو زرعة، عبدالرحمن بن محمد، حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٩- السالمي، عبد الله بن حميد (ت ١٣٣٢هـ)، مشارق أنوار العقول، ت: عبد الرحمن عميرة، د.ط، د.ت.

٢٠- ابن السراج، محمد بن السري، أبو بكر (ت ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ط، د.ت.

٢١- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت: فواز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ _ ١٩٩٩م.

٢٢- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز المعاني، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ط، د.ت.

الشاطبي، القاسم بن فيره (ت:٥٩٠)، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، ت: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، ط:٤، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢٣- الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ت: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٢٤- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة، د.ط، د.ت.

٢٥- الطويل، السيد رزق (ت ١٤١٩هـ)، مدخل في علوم القراءات، المكتبة الفيصلية، السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٦- الطيار، مساعد بن سليمان (معاصر)، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٧- ابن العربي، محمد بن عبدالله، أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٨- العسكري، الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، د.ط، د.ت.

٢٩- القباقبي، محمد بن خليل، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، ت: أحمد خالد، دار عمار للنشر، عمّان، ط١، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م.
٣٠- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
٣١- القسطلاني، أحمد بن محمد، أبو العباس (ت ٩٢٣هـ)، لطائف الإشارات لفنون القراءات، مجمع الملك فهد، السعودية، د.ط، د.ت.
٣٢- القيسي، مكي بن أبي طالب، أبو محمد (ت ٣٥٥هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع، دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٣٣- محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي (معاصر)، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.
٣٤- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣.
٣٥- ابن مهران، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ)، محمد إبراهيم، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص٢٢٦.
٣٦- النحاس، أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص١٤٢١هـ.
٣٧- النويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ت: مجدي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
٣٨- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.
٣٩- https://www.islamweb.net/ar/article/ 2023/2/5م